إصدارات مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية
كلية العلوم الإسلامية - جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي - الجزائر

فرقة البحث (P.R.F.U): تاريخ وادي سوف الثقافي بين 1900-1988م

بحوث الملتقى الدولي السابع
المقاومة الثقافية لأعلام الفكر الإصلاحي
في الجنوب الشرقي الجزائري ما بين 1900 – 1962م

بتاريخ: 05 و06 ذو القعدة 1443هـ / الموافق لـ 04 و05 جوان 2022

الخطاب الإصلاحي للشيخ الطيب العقبي في مدينة بسكرة
ـ تعليم المرأة أنموذجا ـ

Reformist discourse of the sheikh Al Tayeb Al Oqbi in the citye of Biskra - Women's education as a model-

ط. د/ حسيبة عطاء الله
مخبر المؤسسات الجزائرية التاريخية عبر التاريخ ودورها في التنمية الوطنية، جامعة خميس مليانة (الجزائر)
atallah.hassiba@univ-dbkm.dz

د/ إبراهيم بن مويزة
المدرسة العليا للأساتذة - طالب عبد الرحمان-، الأغواط (الجزائر)
b.benmouiza@ens-lagh.dz

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

ملخص: مما لا شك فيه، أنه منذ الثلاثينات من القرن العشرين ميلادي، برزت لدى الشيخ الطيب العقبي اهتمامات جليلة في الدعوة لإصلاح الوضعية الأخلاقية لدى النساء بمدينة بسكرة من خلال تعليمهن وتثقيفهن ثقافة إسلامية، فكان يهدف رحمه الله إلى الرفع من قيمة المرأة المسلمة والرقي بها أخلاقياً ودينياً، وكذا اجتماعيا. ومن خلال دراستنا استخلصنا أن الشيخ رحمه الله جسد مشروعه على أرض الواقع باتباعه قاعدة صلبة ألا وهي تربية وتعليم المرأة، فقد نجح نجاحاً باهرًا بإحداثه آثارا إيجابية في شخصيتها لتكون امرأة صالحة تقود أسرة ومجتمعا موحدًا.

الكلمات المفتاحية: الخطاب الإصلاحي؛ الطيب العقبي؛ مدينة بسكرة ؛ التربية والتعليم؛ المرأة.

Abstract :
Undoubtedly, since the thirties of the twentieth century AD, Sheikh Al Tayeb Al Oqbi had great interests in calling for reforming the moral status of woman in the city of Biskra, through teaching and educating them Islamic culture, as well as socially. Through our study, we concluded that the Sheikh, may God have mercy on him, embodied his project on the ground by following a solid rule, which is raising and educating women.

Keywords: Reformist discourse;Al Tayeb Al oqbi ; the city of biskra ; education ; woman.

1. مقدمة

أُنشأت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931م، من قبل ثلة من علماء الجزائر المصلحين، حيث خرج هؤلاء بحناجر مدوية رافضين الوضعية الثقافية والأخلاقية التي آل إليها المجتمع الجزائري في ظل الاحتلال الفرنسي الغاشم. وكان من بين هؤلاء الدعاة الشيخ " الطيب العقبي"، حيث أدرك رحمه الله حجم الفساد الذي دبَ في الأمة الجزائرية

بسبب الفساد الأخلاقي في أوساط بناته ونسائه بالدرجة الأولى وهو نتيجة حتمية لتفشي الجهل بينهن، وكذا حرمانهن من التعلم نظراً لعقلية الأسرة الجزائرية السائدة، فدعا بصوت مدو إلى ضرورة إصلاح وضعياتهن عن طريق تعليمهن تعليماً يتماشى والقيم الإسلامية. وانطلاقاً مما سبق ذكره، يمكننا أن نطرح تساؤلا عن دور الشيخ الطيب العقبي في إصلاح الوضعية التربوية والتعليمية لدى النساء بمدينة بسكرة وتوجيههن للتعلم حتى يتمكن من كسر قيود الاحتلال الفرنسي منذ الربع الثاني من القرن العشرين ميلادي؟ كيف خدم الشيخ الطيب العقبي هدفه الجوهري، ألا وهو إخراج البنات والنساء البسكريات من دائرة الجهل والأمية؟

لهذا جاءت دراستنا تحمل الأهداف الآتية: توضح صورة البنت والمرأة البسكرية أيام الشيخ الطيب العقبي و هي تعاني من عوامل الانحلال الخلقي والانحراف الاجتماعي مع الرغبة في حماية تربيتها تربية قومية وطنية سليمة، حتى لا يجرفها تيار الفرنسة – التغريب - الذي كان يهدد الجزائر بأكملها في الثلاثينات والأربعينات من القرن العشرين ميلادي، فتعليمها وتدريسها هو السبيل الوحيد لتكون في الأخير امرأة صالحة تقود أسرة متماسكة وأمة صالحة دينياً وأخلاقياً. ولمعالجة هذا الموضوع اتبعنا المنهج الوصفي التحليلي، فالوصفي من أجل تشخيص الوضعية الثقافية والاجتماعية للمرآة بمدينة بسكرة في فترة تزامنت والمشروع الإصلاحي للشيخ "الطيب العقبي"، أما التحليلي من أجل تحليل مضمون الأفكار والمبادئ الإصلاحية التي نادى بها هذا المصلح رحمه الله.

2. مفهوم الخطاب الإصلاحي وعوامل ظهوره في الجزائر:

2. 1، مفهوم الخطاب الإصلاحي:

أما عن مفهوم الخطاب الإصلاحي لغةً، فقد جاء في لسان العرب: الخِطَابُ والمُخَاطَبَةَ: مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطب وخطابا، وهما يتخاطبان، وفصل الخطاب: أن يفصل بين الحق والباطل ويميز بين الحكم وضده[1]. ويعرفه الدكتور" طه عبد الرحمان " اصطلاحيا بقوله:" إن المنطوق به – أي الخطاب – الذي يصلح أن يكون كلاماً: هو الذي ينهض بتمام المقتضيات التواصلية الواجبة في حق ما يسمى خطاباً، إذ حدّ الخطاب أنه كل منطوق به موجه إلى الغير بغرض إفهامه مقصوداً مخصوصاً[2]. في حين يعرفه الأستاذ " الطيب برغوث" بأنه يمثّل مجمل الفعاليات الاتصالية الإسلامية – من وسائل وأساليب ومناهج ومواقف – المجندة والمستخدمة في العمليات التغيّرية المخططة أو العفوية الرسميّة أو الشعبيّة الفرديّة أو الجماعية الهادفة إلى نصرة الإسلام كمهج وكتاريخ وكحضارة

1- ابن منظور، لسان العرب، مطبعة دار الجيل، المجلد 2، لبنان، 1988م، ص856.

2- عبد الرحمان، طه، اللسان والميزان، طبعة المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1998م، ص215.

وكمستقبل والتمكين في الواقع الإسلامي أولاً، والواقع الإنساني ثانياً.[3]

أما حسب فكر الدكتور "ميشال فوكو" فيعرفه بقوله: "الخطاب مجموعة من الملفوظات بوصفها تنتمي إلى نفس التشكيلة الخطابية، فهو ليس وحدة بلاغية أو صورية قابلة لأن تتكرر إلى ما لا نهاية، بل هو عبارة عن عدد محصور من الملفوظات التي تستطيع تحديد شروط وجودها، إنّه تاريخي من جهة أخرى جزء من الزمن، وحدة وانفصال في التاريخ ذاته، يطرح مشكلة حدوده الخاصة.[4] وهنا تتضح أهمية الخطاب الإصلاحي الذي يحدث أثراً عميقاً أو سطحياً داخل المجتمع الواحد في كافة المجالات. فلا بد للمخاطب من معرفة البيئة السّياسية والاجتماعية والثقافية بهدف التغيير حسب الأهداف والأطر التي حدّدها المخاطب له.

لهذا سنتطرق للخطاب الإصلاحي لدى الرائد المصلح الشيخ الطيب العقبي الذي وجه جهوده ودعوته لمعالجة الوضعية الأخلاقية والثقافية لدى النساء والبنات في مدينة بسكرة، واعتبر أن صلاحهن من صلاح الأمة الجزائرية بالدعوة إلى الرجوع إلى القرآن الكريم والسنة النبوية. لذلك صدع هذا المصلح بقوله:" عندما أقول لهم علموا بناتكم وأدبوهن على حسب ما تقتضيه الشريعة الإسلامية، حتى يمكن لأزواجهن أن يعيشوا معهن عيشة رضية ويحيوا جمعياً حياة طيبة"[5]. فضلاً عن استخدام الصحافة كوسيلة لإعداد أذهان الأسر الجزائرية (العوام) لقبول الإصلاح الديني وتوجيه الجهود إلى بيان تلك الحقائق الدينية بواسطة الوعظ والإرشاد في المساجد والزوايا، أما الحقائق العلمية فيتم إبرازها عن طريق الكتابات الإبداعية.

إنّ مفهوم الخطاب الإصلاحي بصفة عامة عند رجال الإصلاح في الأمة الجزائرية يعني التجديد"[6]. وهو نفس المفهوم عند الرائد الطيب العقبي عن طريق إعادة بعث القيم والأحكام التي جاء بها القرآن الكريم والسنة النبوية، وكذا السلف الصالح. حيث قال:" ...إن أمة الجزائر لفي حاجة شديدة، وضرورة ماسة إلى الإصلاح وحقيقة لا يقدر على إصلاحها إلاّ العلماء، ونعني بهم العاملين بعلمهم الصالحين في إصلاحهم،...هلموا بنا إلى الاتحاد في التوحيد والاعتصام بحبل الله المتين والتمسك بالعروة الوثقى فنؤمن بالله وحده ونكفر

3- برغوث، الطيب، الخطاب الإسلامي المعاصر، دار الامتياز، الجزائر، 1990م، ص11.

4- ولد أباه، السيد، التّاريخ والحقيقة لدى ميشال فوكو، دار العربية للعلوم، بيروت، الطبعة 2، 2004م، ص110.

5- لمونس، زينب، (2015)، رواد حركة الإصلاح من منطقة الزاب الغربي الشيخ أحمد سحنون نموذجا 1907-2003م، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر، الجزائر، ص24.

6- الميلي، مبارك، رسالة الشرك ومظاهره، دار البعث، الجزائر، الطبعة3 ،1982م، ص14.

بالطاغوت..."[7]

2،2. عوامل ظهور الخطاب الإصلاحي:

هناك جملة من العوامل التي ساعدت على ظهور الخطاب الإصلاحي وتطوره في الجزائر، ويمكن أن نصنفها ضمن عاملين رئيسيين هما:

أ- العوامل الداخلية:

محاولة الاحتلال الفرنسي القضاء على الثقافة العربية الإسلامية في الجزائر، من خلال تكثيف نشاط الحركات التبشيرية المحمية من طرفه حتى يتسنى لها تنصير البنات والنساء على وجه الخصوص دون أن لا ننسى أنها عملت على تنصير أبناء ورجال الجزائر هذا من جهة، ومن جهة أخرى فرضها لسياسة التجنيس التي أرادت دولة الاحتلال فرضها على الجنوب الشرقي من دولة الجزائر، ومن تم رأى المصلحون في الجزائر ضرورة المحافظة على الشخصية الجزائرية التي أصبحت مهدّدة بالخطر من طرف الاحتلال وعملائه من طرف الدعاة الفرنسة والإدماج[8].

اشتداد نشاط الحركات الصوفية في عدة مدن من الجنوب الشرقي للجزائر ومن أبرز هذه المدن: بسكرة، والتي اكتسح الفكر الصوفي الخرافي كل أرجاءها، وحجتهم في ذلك معرفتهم الغيب من باب الكرامات، فامتصت مال كثير من الجزائريين موهمة إياهم بخدمة الدّين والعقيدة، وإنما كان ذلك تخديراً منها لعقول الناس وخدمة لمصالح الصوفيين المرتزقة، قال الشيخ مبارك الميلي:" نقول إن المسلمين قد عمّهم الجهل وتفشى بينهم الدّجل، وانتشرت فيهم البدع والمعاصي. وكشفت غفلتهم عن يوم الأخذ بالنّواصي".[9] وذلك بسبب انحراف معظم الطّرق الصّوفية في الجزائر عن جادة الإسلام القويمة حيث أكثروا من البدع في الدين، بل وتعاون بعضهم مع الإدارة الفرنسية ضد مصالح بلادهم العليا كما قابلهم هؤلاء الصوفيين الذين مثلوا الدّين برقصات وشطحات تهوّل بها العقول وتفقد بها السّيطرة على الأجساد، بممارسات فلكورية راقصة[10]. إضافة إلى ما كان يعانيه المجتمع الجزائري في ذلك الوقت من عسر المعاش، وتضرر النّاس جوعاً، حيث عاشوا كل مزايا البؤس والمعانات، وقد عبر عن ذلك في قصيدة لجريدة الجزائر بعنوان: " الجزائر تحيّ

7- جريدة الإصلاح، عدد43، السنة الخامسة عشرة، 4 سبتمبر 1941م. وأنظر كذلك: جريدة السنة الموافق لـ8 ماي 1933م.

8- درغال، رشيد، دور النخب في تجديد المشروع النهضوي التنموي من خلال الفكر الباديسي، مجلة فصيلة، العدد 10، الجزائر،2013م، ص ص 265- 266.

9- الميلي، مبارك، المرجع السابق، ص 30.

10- بوقرة، زيلوخة،(2008-2009م)، سوسيولوجيا الإصلاح الديني في الجزائر، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أنموذجا، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خضير، الجزائر، ص 118.

الجزائر"، نذكر منها:

أخزى الإله أناسا لا خلاق لهم زعانفا بخسيس العيش يرضونها
قد حرموها ولم يدروا لحرمتها حقا لجهلهم بل كيف يدرونها
هم شر كل الورى تعسا لرائدهم ولست أحسبهم إلاّ شياطينا
واذكر حديث جدود قبلنا سلفوا عساك بالعلم بعد الجهل تحيينا[11]

كما كان للشيخ "الطيب العقبي" دورٌ جليل في نشأة الخطاب الإصلاحي بسبب انطلاقته القوية والثورة التعليمية التي أحدثها بدروسه الحيّة القيّمة الصحيحة الصريحة التي كان يأخذ بها تلاميذه بعد عودته من الحجاز عن طريق إلقاء الدروس على العوام، بغية توعيتهم بأمور دينهم وتحسين لغتهم العربية[12]. كذلك أدى النشاط الصحفي ذو التوجّه الإصلاحي الذي عاش في الجزائر، دوراً هاماً في ظهور الخطاب الإصلاحي، ما سهّل على العلماء والمفكرين الإصلاحيين التأثير على الجزائريين، حيث أدّت الصّحف الوطنية آنذاك دوراً بارزاً في معركة التحرّر الفكري، رغم ما عانته من قهر وقمع، ويأتي على رأس هذه الصّحف " جريدة المنتقد" التي أنشأت لها مطبعة خاصة بها، سميت بـ" المطبعة الجزائرية الإسلامية " وصدر العدد الأول منها سنة1925م[13]، وفي نفس السنة صدرت جريدة تحمل اسم" صدى الصحراء "، حيث كان شعارها " العمل على درء المفسدة قبل جلب المصلحة، بالإضافة إلى جريدة "الإصلاح" التي صدرت عام1927م، وكذا جريدتي "السنة النبوية المحمدية"، و"الشريعة المحمدية"، وكذا جريدة" الصراط السوي " .

ب– العوامل الخارجية:

كذلك هناك عوامل خارجية ساهمت هي الأخرى في ظهور الخطاب الإصلاحي في الجنوب الشرقي للجزائر، وتمثلت هذه العوامل في:

بروز الحركة الفكرية المتطورة التي برزت في شتى أنحاء العالم، أثناء الحرب العالمية الأولى، إذ كان لها الدور الكبير في ظهور هذا الخطاب.[14] ونتجت عن هذه الحركة اليقظة العامة التي دبّت في أرجاء العالم الإسلامي ومن بينها الجزائر، وتطلع الجزائريون إلى الإصلاح الشامل الذي ينهض بهم دينياً واجتماعياً، وكذا ثقافياً من الوضعية السيئة التي كانوا عليها

11- تضمنت القصيدة 70 بيتًا، ظهرت لأول مرة في جريدة الجزائر.

12- الإبراهيمي، محمد البشير، سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، المطبعة الجزائرية الإسلامية، الجزائر، 1935م ، ص 40.

13- جريدة المنتقد، العدد1 ،2 جويلية 1925م.

14- عمارة، حياة، (2013-2014م)، أدب الصحافة الإصلاحية الجزائرية من عهد التأسيس إلى عهد التعدّدية، أطروحة دكتوراه في الأدب، قسم الآداب، كلية الآداب واللغات، جامعة أبكر بلقايد تلمسان، الجزائر، ص45.

قبل بداية الحرب[15]. ظهور شخصية الشيخ " محمد عبده " زعيم الحركة الإصلاحية في الشرق الأدنى كان له تأثير واضح على أفكار المثقفين الإسلاميين أكثر من غيره من المصلحين المعاصرين[16]. كما شهدت سنة 1918م تطوراً عميقاً في الجزائر والعالم الإسلامي بأكمله خاصة الدولة العثمانية ومصر، بسبب انتشار التعليم سواء باللغة العربية أو بالفرنسية[17]. وبانتشار التعليم ومؤسساته انتشر الوعي، ومن ثم بزغ فجر الحركة الإصلاحية في الشرق الأدنى، وأخذ المثقفون وعلماء الجزائر ينجذبون إلى هذا الاتجاه الجديد، وحاولوا تطبيقه من أجل إصلاح المجتمع الذي عرف انحطاطاً خلقياً.

ومن العوامل أيضاً، عودة أبناء الجزائر المخلصين من الحجاز منبع الإسلام، ومنبت الدعوة إلى الإصلاح العقائدي الروحي، بعد أن تشبعوا بالأفكار الناضجة الحديثة هناك، ونضجت في أذهانهم وعقولهم، فقد تأثروا بها أيما تأثر، ليعودوا بعد ذلك إلى أرض الوطن، يحملون معهم هذه الأفكار الجديدة.[18]

3. 2. أهداف الخطاب الإصلاحي :

من أهم مطالب وأهداف الخطاب الإصلاحي، والتي تمسّكت بها الحركة الإصلاحية في الجزائر، واعتبرتها من أولوياتها، نوضحها كالآتي: محافظة الأمّة على شخصيتها ولسانها وديانتها مع ضرورة المحافظة على الدين الإسلامي ونشره بواسطة مؤسساته سواء التعليمية أو المساجد وتقويتها وتعزيزها بعناصر جديدة من خريجي مدارس دينية تنشأ من أجل هذه الغاية. النهوض بالأمّة الجزائرية وإعادة بعثها من جديد، وهو نفس الهدف الذي نادى به الشيخ الرائد عبد الحميد بن باديس[19] على أساس الدّين والعلم انطلاقا من القرآن الكريم والسنة وهديّ السلف الصالح. ذلك مرده أن الإسلام الذي نزل على خاتم المرسلين عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام، هو دين جامع لكل ما يحتاجه إليه البشر أفراداً وجماعات لصلاح حالهم ومآلهم، فهو دين لتنوير العقول وتزكية النفوس، وتصحيح العقائد، وتقويم الأعمال لدى الإنسانية جمعاء[20].

إن الخطاب الإصلاحي قد قام أساسًا من أجل إعادة بناء المرأة على هَدَىّ من الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وبناء شخصيتها من خلال تلك الرسالة التي تضمنتها السيرة

15- بوصفصاف، عبد الكريم، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطوّر الحركة الوطنية الجزائرية (1931-1945م)، دار البعث للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر،1981م، ص390.

16- نفسه، ص54.

17- نفسه، ص390 .

18- نفسه، ص60-61.

19- للمزيد أنظر: الطالبي، عمار، ابن باديس- حياته وآثاره، الجزء3، ص212.

20- الشهاب- لسان الإسلام والعروبة والوطنية في الجزائر (1925-1939م)- دورها في نهضة الجزائر الحديثة، مجلة الثقافة، العدد 81، الجزائر، ص205.

النبوية، فكانت رسالة تربوية تعليمية بالدرجة الأولى، فقد كرست الخطابات الإصلاحية جهودها في إعادة بناءها[21].

3. الخطاب الإصلاحي عند الشيخ الطيب العقبي:

1،3. التعريف بالشيخ الطيب العقبي (مولده ونشأته):

هو الطيب بن محمد بن إبراهيم بن الحاج صالح العقبي من فرقة أولاد عبد الرحمان الأوراسية، التي سكنت منذ القدم في مناطق جنوب جبال الأوراس.[22]وقد صرح الشيخ الطيب العقبي بأن أصوله ترجع للأسرة الشريفة[23]. ولد العقبي في 15جانفي 1890م بسيدي عقبة ببسكرة، وهو الطفل البكر لأبيه الحاج" محمد بن إبراهيم بلحاج صالح" وأمه المدعوة " باية " بنت محمد آل خليفة، وقد أمضى العقبي جزءاً من طفولته الأولى بسيدي عقبة ثم هاجر به والده مع أفراد أسرته إلى بلاد الحجاز سنة 1895م[24]. تزامنت ولادته مع ولادة الشيخ عبد الحميد بن باديس[25] والشيخ محمد البشير الإبراهيمي[26] إذ كانت ولادتهما في العام نفسه. لقد ترعرع وسط أسرة متواضعة الجاه، عرفت بالورع والتقوى، فأورثت فيه تلك الصفات الحميدة لابنها[27]. وبرغم من رعاية الأمومة التي حظي بها منذ صباه، فإنه لم يكن على اقتناع تام بدور أبويه في تربيته، فقد فضل الاعتراف بفضل الله على فضل

21- الخطيب، أحمد، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م، ص 72.

22- بن حميميد، فتيحة، الشيخ الطيب العقبي وموقفه من الزوايا والطرقية المنحرفة (1888-1960م)، مجلة قضايا تاريخية، العدد10، 2018م، ص152.

23- نويهض، عادل، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض للثقافة، بيروت، الطبعة 2، 1980م، ص238.

24- تميم، آسيا، 100 شخصية، دار المسك، الجزائر، دون طبعة، 2008م، ص81.

25- عبد الحميد بن محمد بن مصطفى بن مكي بن باديس الصنهاجي، ولد في 4 جانفي 1889م بمدينة قسنطينة، يعد من أعلام الفكر والإصلاح في العالم العربي ومن كبار علماء الجزائر المصلحين، ومن أبرز أعماله نذكر لا سبيل المثال لا الحصر: تأسيسه لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931م، بالإضافة إلى إصداره لعدة جرائد نذكر منها:جريدتي :الشهاب "و"الصراط المستقيم"...وغيرها من الجرائد والأعمال. للمزيد أنظر: الجميلي، حميد، آخرون، موسوعة بيت الحكمة لأعلام العرب في القرنين التاسع عشر والعشرين، دار بيت الحكمة، العراق، الطبعة1، الجزء1، 2000م، ص289.

26- ولد في قرية رأس الوادي ناحية مدينة برج بوعريريج بالشرق الجزائري عام 1889م، حفظ القرآن الكريم منذ صغره، كما حفظ أيضا ألفية الإمام ابن مالك، وكذا تلخيص المفتاح، رحل إلى المدينة المنورة سنة 1911م ليلتحق بوالده ، من أهم انجازاته: تأسيسه لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين رفقة الشيخ ابن باديس والشيخ العربي التبسي سنة1931م...وغيرها، للمزيد أنظر: زغير، فهد امسلم، محمد البشير الإبراهيمي ودوره الفكري والسياسي، مجلة ديالي، العدد 63، 2014م، ص ص 464-470.

27- دبوز، محمد علي، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها الحديثة وثورتها المباركة، المطبعة العربية، الجزائر، الجزء 2، الطبعة1، 1971م، ص 106.

الوالدين، وأشار إلى ذلك بقوله:" أدبّني ربي فأحسن تأديبي...ولولا فضل الله علي وعنايته بي صغيراً يتيماً لما كنت هديت سواء السبيل..."[28].

شدت عائلة العقبي الرحال إلى المشرق العربي واستقرت في الحجاز لمدة عام، وبعد أداءها لفريضة الحج، انتقلت إلى المدينة المنورة التي كانت محط ترحال الكثير من سكان مدينة بسكرة، وكان عمره آنذاك 6 سنوات وشهرين[29]. ويذكر في هذا الجانب :" انتقلت عائلتنا مهاجرة من بلدة سيدي عقبة إلى الحجاز بغضها وقضيضها إناثها وذكرانها، صغيرها وكبيرها، عام 1896م، قاصدة مكة المكرمة لحج الكعبة المشرفة في تلك السنة فكنت في أفرادها الصغار لم أبلغ من التمييز الصحيح ولولا رجوعي إلى هذه البلاد ما كنت لأعرف شيئاً فيها".[30]

2،3. **تعليمه وتدريسه**:

عاش الشيخ الطيب العقبي يتيم الأب، فتولت أمه تربيته رغم الظروف المعيشية الصعبة، إلا أن ذلك لم يفقده مقوماته الشخصية ولم تضعف من عزيمته، حيث ذكر في ترجمته:" ثم شرعت على عهد والديّ بقراءة العلم بالحرم النبوي لا يشغلني عنه شاغل ولا يصدني عنه شيء، حيث كان أخي الأصغر مني سنًا هو الذي تكلفه والدتي بقضاء ما يلزم من الضروريات المنزلية وقد أدركت سر الانقطاع لطلب العلم وفهمت جيدًا قول الإمام الشافعي لو كلفت بصلة ما تعلمت مسألة، بعد أن أصبحت أنا القائم بشؤوني والمتولي أمر عائلتي ونفسي..."[31]، فقد أصبح يتابع ملف العلم والتحصيل والأخذ بالثقافة العربية الإسلامية فلازم الحرم النبوي الشريف حتى نبع في علوم الفقه[32]، فدخل إلى المسجد النبوي الشريف طلباً للعلم فنهل من المعارف والعلوم المقدمة للطلاب فتقدم في طلب العلم بالقدر الذي ساعدته به الظروف، فكانت ثقافته محافظة تقليدية اعتمدت العلوم والشريعة والتراث الأدبي العربي شعرًا ونثرًا[33].

فقد استطاع بذكائه واعتماده على نفسه في التحصيل أن يكون من الشخصيات

28- الزاهري، محمد الهادي، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، المطبعة التونسية، تونس، الجزء 1، الطبعة 1، 1926م، ص127

29- عجالي، كمال، الفكر الإصلاحي في الجزائر الشيخ الطيب العقبي بين الأصالة والتجديد، دار مزوار للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2005م، ص22.

30- سمراد، سميرة، الشيخ الطيب العقبي خطيب السلفيين وشاعرهم، مجلة الإصلاح، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، الجزائر، العدد 3، 2007م ، ص65.

31- عجالي، كمال، المرجع السابق، ص142.

32- مريوش، أحمد، الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية، دار هومه، الجزائر، الطبعة1، 2007 م، ص33.

33- سمراد، سميرة، المرجع نفسه، ص65.

اللامعة في المدينة المنورة. فعرف عنه أنه كان يمتاز بعزيمة وطموح وأخلاق، وبهذه الصفات استطاع أن يصارع الحياة القاسية التي عاشها في الحجاز، فاستطاع أن يزيل هذه العقبات بالجد والدراسة، حتى أصبح ممن يشار له بالبنان في علوم اللغة العربية والشريعة[34]. كما برز تأثره الشديد بعلمائه الذين درسوه في المدينة المنورة، من أمثال:" عبد الله زيدان الشنقيطي" والشيخ "محمد حمدان الونيسي"، وكذا الشيخ " الحبيب التونسي"[35] فاكتسب من تلك الدروس الأخلاق الكريمة والصفات النبيلة، فضلا عن تعليمه فن السياسة. ومن الضروري الإشارة هنا إلى أنه كان رحمه الله متأثر ببيته الصحراوية أيما تؤثر (بسيدي عقبة) فصيح اللسان والقلم، فشاءت الأقدار أن يواصل تعلمه بعد عودته إلى الجزائر سنة 1920م، على يد الشيخ" علي حمدان الونيسي" - أستاذ ابن باديس في قسنطينة-.

4. إصلاح وتعليم المرأة في منظور الشيخ الطيب العقبي:

4. 1. الدعوة إلى تعليم المرأة:

لم يتناسى رجال الإصلاح دور المرأة في الأسرة والمجتمع ومنحوها أهمية بالغة، فكانت دعوة الشيخ الطيب العقبي إصلاحية بالدرجة الأولى والأمر الذي يدل على ذلك ما جاء في ديباجة جريدة الإصلاح سنة1927م، حيث كان أول عدد لها بمدينة بسكرة، رفعها لشعار الآية الكريمة: ﴿**إن أريد الاّ الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلاّ بالله عليه توكلت وإليه أنيب**﴾[36] إلى تعليم المرأة في مدينة بسكرة وغيرها من المدن المجاورة دعوة مبكرة وجريئة في الظروف السائدة آنذاك، وذلك لعدة اعتبارات بدءا من كون المرأة من الأمة كالروح من الجسد والراحة من اليد، إذا صلحت صلحت الأمة كلها، وإذا فسدت فسدت الأمة كلها. إذ كانت قضية تعليم المرأة جديدة على الأسرة الجزائرية والمجتمع بأكمله، الذي انقطعت صلته بمثل هذه الأفكار بسبب العادات والتقاليد، فكان كلّ من يخرج عما شاع من التقاليد يعدّ مارقاً[37]، حيث أردف قائلاً:" عندما أقول لهم علموا بناتكم وأدبوهن على حسب ما تقتضيه الشريعة الإسلامية..."[38]، إيماناً منه بدور المرأة في التركيبة الاجتماعية. وأهميتها أكبر لما تكون متعلمة ومثقفة ثقافة إسلامية.

ولابد من الإشارة هنا إلى أنّ المصلح العقبي كانت له نظرة ثاقبة ورؤية شاملة تمس حياة المرأة البسكرية خاصة والجزائرية عامة، وقد أوضح في ردّه على دعاة تجهيل المرأة

34- عجالي، كمال ،المرجع نفسه، ص 23 .

35- للمزيد أنظر: مريوش، أحمد، المرجع السابق، ص ص 35-37 .

36- سورة هود، الآية 88.

37- مريوش، أحمد ،نفسه، ص 73.

38- مونس، زينب، المرجع السابق، ص24.

وتهميشها مؤكداً أن من حق المرأة أن تعيش بكرامة[39] على أساس أنها نصف المجتمع.

وركز العقبي في دعواته على ضرورة تعليم المرأة البسكرية في الزيبان وغيرها لإحساسه بالدور الكبير الذي تقوم به في الحفاظ على مقومات الشخصية الوطنية[40]، فضلا على أنه شدد على دور الأسرة التي هي الركيزة الأساسية في بناء المجتمع، وأهم المؤسسات الاجتماعية بوصف دور محوري في بناء المجتمع[41]، ولا تتحقق هذه الوظيفة للأسرة إذا كان أحد ركنيها الأساسين جاهلاً بالتعليم والثقافة، والمعرفة ولا تحقق أهدافها لركنيها من استقرار وسكينة ومودة وبناء جيل متسلح بالعلم والمعرفة[42]، فتعليمها كونها مسلمة واجب ديني أخلاقي لتعرف مالها وما عليها[43].

خاطبت جريدة " الإصلاح " المرأة " قائلة:" أختي الكريمة أنما تركك اليوم غافلة خاملة مقهقرة هو شيء واحد لو تمسكت به لكنت من زمرتهن، وفي طليعة المجتمع النسائي النهاض أعيري لي سمعك حتى أبيّن لك ذلك السبب الذي جنى عليك وتركك تسبحين في بحر خصم من الخرافات والأوهام وتهمين في بيداء من الشجون والأحزان لا منفذ لك ولا راد لحكم الله في ذلك"[44]. في حين عارض موقفه بعض العلماء فكان موقفهم الرفض، حيث اتخذوا عدة ذرائع وحجج لمنعها من التّعلم، بحجة أنه يسبب ذلك في دخولها وسط الرجال واختلاطها بهم مما يجعلها عرضة لأطماعهم وتعريض أنوثتها للخطر حسب ادعائهم[45]. رفض الشيخ العقبي هذه الذرائع والحجج مؤكدا أنّ التعلم كفيل بتحويل المرأة البسكرية خاصة والمرأة الجزائرية عامة إلى أم ناجحة، ومرشدة مصلحة، تعمل على تطوير بلادها، وتبني العقبي دعوة الرائد ابن باديس بضرورة تعليم المرأة الجزائرية، من خلال دفع الآباء إلى السماح لبناتهم بتعلم أوامر دينهن ونواهيه، زيادة على ذلك يتفقهن في أمور دنياهن، وقد اعترض أحد الحاضرين على هذا النقاش، وكان من عامة الناس وكان وجه اعتراضه هو أنهم لا يثقون في من يعلم بناتهم، فرد عليه الشيخ ابن باديس بصوت عال:" إذا لم تكن الثقة فينا نحن العلماء ... ففي من تكون" وكررها[46].

39- نفسه،ص24.

40- جلال، محمد، مصائب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أمام استفزازات الإدارة الفرنسية (1931-1940م)، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، العدد 14، الجزائر، 2019م، ص309.

41- مونس، زينب، المرجع نفسه، ص24 .

42- عجالي، كمال، المرجع نفسه، ص74 .

43- جلال، محمد، المرجع نفسه، ص 310.

44- جريدة الإصلاح، العدد51، 3 جوان 1947م.

45- جريدة البصائر، العدد 21، 21 فيفري 1936م.

46- لونس، زينب، المرجع السابق، ص 161.

الوسائل التي وظفها لتحقيق هدفه:

كان للجمعية الخيرية التي ترأسها الشيخ العقبي دور في تأسيس المدرسة الخيرية للبنات للتعلم الحرف اليدوية، وضمت هذه المدرسة 60 فتاتاً، كما قسمت على عدة فرق فكانت فرقة تعمل على آلات الخياطة، وفرقة على أعمال التطريز، وأخرى ثالثة تعمل على عملية النسيج، وقد نشرت جريدة الإصلاح نشيد البنات المسلمات:

نحن البنات المسلمات	المؤمنات الطاهرات
الفاتنات الصالحات	من مثلنا بين الوجود
إن الحياء جمعياً لنا	والعرض تاج جبيننا
والدين نور حياتنا	لله صلينا الفروض
لا ترتدي الزي الحرام	فالذرع تخفيه الكمام
والساق بستره الكرام	فعرضنا الكنز الفريد[47]

1.4. البرامج التعليمية أيام الشيخ الطيب العقبي:

أ- القرآن الكريم والسنة النبوية:

كان لازماً على البنت والمرأة معاً حفظ بعض السور القصيرة كالمعوذتان وغيرها من الآيات البينات، ثم بعد إتمام الحفظ تأتي مرحلة الشرح واستخراج العبر من الآيات الكريمات هذا من جهة، ومن جهة أخرى تتعلمن أيضاً بعض الأحاديث النبوية باختلاف أسانيدها، فتتسابقن فيما بينهن في حفظها، زيادة على كل هذا وذاك يتعلمن سير الصحابة رضوان الله عليهم[48].

ب- تلقين اللغة العربية والترغيب في المطالعة::

كانت البنات التلميذات والنساء في المدرسة التعليمية يتمرن على قراءة الحروف المطبعية، كما يركزن في طريقة كتابتها، مثلاً: القاف تنقط نقطتين من الفوق والفاء تنقط نقطة واحدة من الفوق...[49] وغيرها. كان الشيخ العقبي رحمه الله مهتم كثيراً بقضية المطالعة، فأمر المُعلمات إلى تحبيبها وترغيبها لدى المتعلمات، بواسطة تعليمهن وإرشادهن كيفية المطالعة في كتب التاريخ أو سير الصحابة...وغيرهم.[50]

---

47 جريدة الإصلاح، العدد 68، 14 نوفمبر 1947م.

48 شيبان، عبد الرحمن، من وثائق جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، دار المعرفة، الجزائر، 2009م، ص62.

49 الزغيداني، أبوالقاسم، نظرة في التربية والتعليم، مجلة جمعية التربية والتعليم الإسلامية بقسنطينة، المطبعة الجزائرية الإسلامية بقسنطينة ، 1936م، ص16

50 سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، دار المعرفة، الجزائر، 2009م، ص50.

ت- تعليم اللغة الفرنسية:

اهتم المصلح العقبي بتعليم نساء الجزائر اللغة الفرنسية وحثه على تعلّمها وتعليمها، فقد جاء في مقاله بجريدة الإصلاح قوله:" يستحق العرب هذا وأكثر من هذا بجهلهم اللغة الفرنسية وعدم حرصهم على تعليمها وما داموا مهملين لتعليم ابنائهم فكأنهم يرون كل يوم إهانة جديدة وغلطة فادحة، ربما ذهبت بهم إلى الهاوية، لأنهم لا يعرفون ما يدور حولهم، ولا يفهمون لغة المستعمر،..."[51].

5. موقف الإدارة الفرنسية من مشروعه الإصلاحي:

كانت الإدارة الفرنسية تترصد المشروع الإصلاحي للشيخ الطيب العقبي في مدينة بسكرة بكل اهتمام ويقظة، فسارعت لإحباط معنوياته من خلال عملية بائسة استفزازية تمثلت في تفتيشها لمنزله بتاريخ 23 سبتمبر 1921م، إذا أخذت المخابرات كل ما وجدته من أوراق ووثائق ذات صلة بإنتاجه الأدبي والفكري[52]. والجدير بالذكر هنا، أن إدارة الاحتلال لم يهدأ لها بال حتى قامت باعتقاله لمدة شهرين كاملين، ، وظل طيلة تلك المدة محافظا على مبادئه الإصلاحية، والأمر الذي يفسر ذلك طلبه مرارًا من تلك الإدارة أن تعيد له وثائقه وأوراقه العلمية، لكنها لم تبال بطلباته المتكررة، ولم يطلق سراحه إلا بعد تدخل أخواله آل خليفة والسيد ابن قانة دفاعًا عنه[53].

كما حاولت الإدارة الفرنسية تأديبه مرة واستمالته مرة أخرى، لكن الأمر لم ينجح معها، فلجأت إلى إصدار أوامر بمنع جرائده من النشر سواء تلك التي كانت تصدر في مدينة بسكرة – نقصد هنا جريدة الإصلاح – أو غيرها بمدن عدة أو خارج الوطن في تونس، وهذا كله من أجل كبح جماح حركته الفكرية ونهضته العلمية، لتظهر مرة أخرى في هجمة شرسة سريعة مستهدفة كل المتعاونين معه من النشطاء الإصلاحيين في الجمعية الخيرية التي كان يشرف عليها وقامت بحلها مستفيدة من أخبار المعارضين له من الطرقيين وغيرهم. كما أرجع الدكتور مريوش أحمد حقيقة تكالب الإدارة الفرنسية على مشروعه الإصلاحي، هي تلك النجاحات التي حققتها أفكاره الإصلاحية وكتاباته الإبداعية، فكانت جرائده من بين الوسائل التي استعان بها الشيخ رحمه الله تعالى لتمرير أفكاره في هذه المدينة ناقمًا ساخطًا على سياسة المحتل الغاشم في حق نساء ورجال أهل بسكرة[54].

6. خاتمة:

ومما سبق يتضح لنا أن المشروع الذي خطط له الشيخ الطيب العقبي في تربية وتعليم

51- جريدة الإصلاح، العدد 21، 5 أفريل 1940م.

52- مريوش، أحمد ،المرجع السابق، ص105.

53- نفسه، ص105.

54- مريوش، أحمد، نفسه، ص106.

المرأة بمدينة بسكرة من خلال الخطاب الإصلاحي، تمثل بجملة من الاستنتاجات نلخصها فيما يلي:

- تربية البنات والنساء الجزائريات تربية قومية وطنية سّليمة عن طريق تصحيح العقائد لديهن.

- العمل على نشر العلم والمعرفة وكذا تثقيفهن وتحريرهن من كل أشكال الضعف والوهن من خلال زرع الأمل في نفوسهن.

- تنمية قدراتهن العقلية والأخلاقية وكذا الاجتماعية لمجابهة المخططات الفرنسية.

- مجابهة المشاريع الفرنسية من سياسة الدمج والتجنيس بالرفض القاطع ، فسجلت موقفها وتاريخها من ذهب، فحرصت كل الحرص على مواصلة تعليمها في المدارس الحرة المنتشرة في عدة قرى عن طريق "التعليم الحر" المدرسة التعليمية الخيرية بطولقة.

- مات الشيخ الطيب العقبي يوم 21 ماي 1960م في بيته ببلوغين- الجزائر-، لكن أفكاره لم تمت، لأنها أصبحت جزءاً من أمجاد هذا الشعب الذي ظّل وفيًا لهذا الرجل ، مخلصا في ارتباطه له، ومتمسك به أيما تمسك.

7. **قائمة المراجع**:

- القرآن الكريم.

- جريدة الإصلاح، العدد 21، 5 أفريل 1940م؛ العدد 68، 14 نوفمبر 1947م؛ العدد51، 3 جوان 1947م؛ عدد43، السنة الخامسة عشرة، 4 سبتمبر 1941م؛ العدد 21، 21 فيفري 1936م.

- جريدة السنة، الموافق لـ8 ماي 1933م.

- جريدة الشهاب، العدد 17، السنة الأولى، 3 مارس1926م.

- ابن منظور، لسان العرب، مطبعة دار الجيل، المجلد 2، لبنان، 1988م.

- الإبراهيمي، محمد البشير، سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، المطبعة الجزائرية الإسلامية، الجزائر، 1935م.

- الجميلي، حميد، آخرون، موسوعة بيت الحكمة لأعلام العرب في القرنين التاسع عشر والعشرين، دار بيت الحكمة، العراق، الطبعة1،الجزء2000،1م.

- الخطيب، أحمد، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م.

- الميلي، مبارك، رسالة الشرك ومظاهره، دار البعث، الجزائر، الطبعة3 ،1982م.

- برغوث، الطيب، الخطاب الإسلامي المعاصر، دار الامتياز، الجزائر، 1990م.

- بوصفصاف، عبد الكريم، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطوّر الحركة الوطنية الجزائرية (1931-1945م)، دار البعث للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر،1981م.

- تميم، آسيا، 100 شخصية، دار المسك، الجزائر، دون طبعة، 2008م.

- الزاهري، محمد الهادي، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، المطبعة التونسية، تونس، الجزء 1، الطبعة 1، 1926م.

- شيبان، عبد الرحمن، من وثائق جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، دار المعرفة، الجزائر،

2009م.
- عبد الرحمان، طه، اللسان والميزان، طبعة المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1998م.
- عجالي، كمال، الفكر الإصلاحي في الجزائر الشيخ الطيب العقبي بين الأصالة والتجديد، دار مزوار للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2005م.
- مريوش، أحمد، الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية، دار هومه، الجزائر، الطبعة1،2007م.
- نويهض، عادل، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض للثقافة، بيروت، الطبعة 2، 1980م، ص238.
- ولد أباه، السيد، التّاريخ والحقيقة لدى ميشال فوكو، دار العربية للعلوم، بيروت، الطبعة 2، 2004م.
- بوقرة، زيلوخة،(2008-2009م)، سوسيولوجيا الإصلاح الديني في الجزائر، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أنموذجا، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خضير.
- عمارة، حياة، (2013-2014م)، أدب الصحافة الإصلاحية الجزائرية من عهد التأسيس إلى عهد التعدّدية، أطروحة دكتوراه في الأدب، قسم الآداب، كلية الآداب واللغات، جامعة أبكر بلقايد تلمسان، الجزائر.
- لمونس، زينب، (2015)، رواد حركة الإصلاح من منطقة الزاب الغربي الشيخ أحمد سحنون نموذجا 1907-2003م،رسالة ماجستير، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر، الجزائر.
- بن حميميد، فتيحة، الشيخ الطيب العقبي وموقفه من الزوايا والطرقية المنحرفة (1888-1960م)، مجلة قضايا تاريخية، العدد10، 2018م.
- جلال ، محمد ، مصائب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أمام استفزازات الإدارة الفرنسية (1931-1940م)، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، العدد 14، الجزائر، 2019م.
- درغال، رشيد، دور النخب في تجديد المشروع النهضوي التنموي من خلال الفكر الباديسي، مجلة فصيلة، العدد 10، الجزائر،2013م.
- الزغيداني، أبو القاسم، نظرة في التربية والتعليم، مجلة جمعية التربية والتعليم الإسلامية بقسنطينة، المطبعة الجزائرية الإسلامية بقسنطينة ، سنة 1936م.
- زغير، فهد امسلم، محمد البشير الإبراهيمي ودوره الفكري والسياسي، مجلة ديالي، العدد 63، 2014م.
- سمراد، سميرة، الشيخ الطيب العقبي خطيب السلفيين وشاعرهم، مجلة الإصلاح، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، الجزائر، العدد3، 2007.
- إميل، يعقوب، قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية، دار العلم للملايين، بيروت، 1987م.
- العدناني، محمد، معجم الأخطاء الشائعة، مكتبة لبنان، بيروت، الطبعة 2، 1980م.
- معجم اللغة العربية، المعجم الوسيط، دار الدعوة إستانبول، 1989.